

الحلقة التاسعة عشرة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كل منّا يرغب أن يكون حكيماً. حكيماً في كلامه وفي سلوكه وفي اتخاذ القرارات الهامة في حياته. وتتجلى الحكمة أيضاً في تقديم النصح للآخرين. وليس أمراً سهلاً أن يكون الإنسان حكيماً، فهذا يحتاج إلى تدريب وممارسة وإحاطة كاملة بالظروف المحيطة. ومن الناحية الأخرى يجب أن يكون المرء متواضعاً، أن يحب الناس الآخرين ويخدمهم. أي أن لا يكون متكبراً، وينظر للآخرين نظرة احتقار وازدراء. ولعلّ من أهم صفات الحكيم هو أن يكون متواضعاً وبسيطاً في تعامله مع الآخرين، وإلا لما اعتبر حكيماً.

لقد أرسل المخلص المسيح مرّة تلاميذه لكي يكرزوا ببشارة الإنجيل المفرحة في مدن وقرى فلسطين، وأوصاهم قبل أن يذهبوا عدة توصيات. وكان على رأسها قوله لهم: «هَآ أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذُبَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسْطَاءَ كَالْحَمَامِ» (بشارة متى ١٠: ١٦).

إن العالم الذي نعيش في وسطه هو عالم شرير، القوي فيه يأكل الضعيف. وكما يقول المثل العامي: «إن لم تكن ذنباً أكلتك الذئاب». وهذه حقيقة واقعية مرّة. فإذا كان هذا هو الواقع بالنسبة للبشر أجمعين، فكيف يكون بالنسبة للذين يريدون أن ينشروا رسالة الخلاص المفرحة للناس الآخرين. ولهذا قال المسيح لتلاميذه: «هَآ أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذُبَابٍ»، لأنه كان يعلم صعوبة البشر، ومدى رفضهم لرسالة الخلاص المفرحة التي سيبلغونها لهم. ولهذا دعاهم أيضاً لكي يكونوا حكماء كالحيات وبُسْطَاءَ كالحمام.

مستمعي الكريم، يبدو واضحاً من كلام المسيح أن الحيات تتحلّى بصفة الحكمة. فالحيّة تعرف كيف تختبئ، ومتى تواجه أعداءها، وكيف وأين تهاجمهم، وكيف تستغل نقاط الضعف فيهم. ولهذه الأسباب كلّها تعتبر الحيّة حكيمة. فماذا قصد المسيح بقوله لتلاميذه كونوا حكماء؟ إنه يعني أن لا يكون المؤمن بالمسيح غيبياً فينخدع بسهولة بكلام الأشرار، بل يكون فاهماً لحيلهم. ويعرف كيف يجيبهم عن تساؤلاتهم بحكمة ومعرفة صحيحة. وفي نفس الوقت يعرف متى يرد على تساؤلاتهم وتهجماتهم، أي يعرف متى يتكلم

أو يسكت. وهكذا يقدّم لهم رسالة الخلاص بكل حكمة.

أما نصيحة المسيح لتلاميذه أن يكونوا بسطاء كالحمّام، فهو يؤكد على أهمية أن يكونوا ودعاء لطفاء مع الناس الذين يقدّمون لهم بشارة الخلاص. وأن يكونوا متواضعين غير متكبرين أو متعجرفين. أي لا ينظروا لأنفسهم نظرة الاستعلاء على الآخرين. إن الناس عادة يرحبون بمن يتحلّى بهذه الصفة الهامة صفة البساطة أو الوداعة، ويتقنون به. إذ من المهم جداً أن يثق الناس بحامل الرسالة، لكي يستطيعوا قبولها. أما إذا أتاهم بكبرياء معتبراً نفسه أنه أفضل منهم، فلن يجد لديهم إلا الرفض والجفاء.

إذن على المؤمن بالمسيح أن يتحلّى بهاتين الصفتين الهامتين: أن يكون حكيماً كالحيات، وبسيطاً أو وديعاً كالحمّام. وعندما يتحلّى بهاتين الصفتين يثق الناس به، ويجد عندهم قبولاً لرسالة الخلاص. وخلاصة الأمر لقد أراد المخلص القول: أن الحكمة والوداعة هم وجهان لعملة واحدة. وبإمكاننا القول أيضاً: أنه من المستحسن للمرء أن يكون حكيماً وبسيطاً أو وديعاً في آن واحد. فالحكمة تهذبّه، والوداعة تجعل سلوكه متزناً ومقبولاً في المجتمع. لعلّ السؤال الآن كيف يكون الإنسان حكيماً وبسيطاً أو وديعاً في آن واحد؟

أجل، كيف يكون الإنسان حكيماً وبسيطاً أو وديعاً في آن واحد؟ لا يوجد شك أن مصدر الحكمة والوداعة هو الله تعالى. فما هو سليمان الحكيم قد طلب الحكمة من الله، فأعطيت له. لكن الحكمة المطلوبة منّا اليوم هي الحكمة في مجال الحياة اليومية التي نحتاج إليها جميعاً. أما الوداعة فهي صفة هامة على المرء أن يتحلّى بها أيضاً، لكي يقدر أن يريح ود الآخرين وصدقاتهم. ولكي نتحلّى بصفتي الحكمة والوداعة، علينا أن نخطو الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح. ألا وهي خطوة التوبة عن ذنوبنا والإيمان بالمخلص المسيح.

هل تعلم مستمعي أن في المسيح يسوع تكمن كل كنوز الحكمة والعلم؟ وأن حياة المسيح نفسه كانت مثلاً للحكمة والوداعة؟ ولهذا صرّح قائلاً: «احملوا نيري عليكم وتعلّموا منّي. لأنّي وديعٌ ومتواضعٌ القلب. فتجدوا راحةً لنفوسكم. لأن نيري هيّنٌ وحملّي خفيفٌ» (بشارة متى ١١: ٢٩ و ٣٠). وهل تعلم مستمعي أن بمجرد توبتك وإيمانك بالمخلص المسيح، تكون قد بدأت الخطوة الأولى في التواضع الحقيقي؟ لأنه ليس من السهل أن يعترف الإنسان بأنه خاطئ، ويطلب غفران الله عن طريق الإيمان بالمسيح الذي مات من أجله على الصليب؟

وليس هذا فحسب بل إن اتباعك للمسيح يعني أن المسيح الحكيم والوديع قد أصبح هو المسيطر على حياتك، ومثالاً لك. وعندها يهبك صفتي الحكمة والوداعة. إذ كما قال عندما نأتي إليه حاملين نيره الهين أي عاره، نجد الراحة الحقيقية لنفوسنا. وهكذا نستطيع أن نتحلّى بالوداعة والحكمة.

ألا تود مستمعي أن تتحلّى بالحكمة والوداعة؟ وأن تستطيع بالتالي مواجهة الناس الآخرين بحكمة وتواضع وأن تجد قبولاً لديهم؟ ما عليك إذن سوى أن تأتي إلى الله تائباً عن ذنوبك ومؤمناً بالمخلص المسيح.